خصائص

منهج علم الثقافة الإسلامية

إعداد

ناصر بن سعيد بن سيف السيف

غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد

فإن تربية المسلم على المبادئ الفاضلة وبناء شخصيته على أساس من القيم والمثل العليا، وتهذيب نفسه من كل المساوئ والرذائل الخلقية ، باعتبار أن الأخلاق الحسنة جزء من بناء الإسلام المتكامل. كما تسعى إلى أن يعيش المسلمون ويتعاملون فيما بينهم في جميع مناحي الحياة في إطار من وحدة القيم الخلقية النابعة من العقيدة الإسلامية والمستهدية بهدي الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان ولايزال مثالاً يحتذى في حسن الخلق وطيب المعاملة ، ولذا أثنى الله تعالى عليه بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [1] ،والمثل والقيم التي تدعو إليها الثقافة الإسلامية أخلاق ترتكز على الوازع الديني الداخلي المرتبط بالخالق سبحانه وتعالى ، لاعلى الضمير المادي والقانون الوضعي. كما أن الميزان في الحكم على الأخلاق – في مفهوم الثقافة الإسلامية – من حيث الحسن والقبح هو الشرع ، فالحسن منها ماحسنه الشرع ، والقبيح ماقبَّحه الشرع ، وأما العقل فهو تابع للشرع في ذلك. [2]

وهذا البحث المختصر يوضح خصائص منهج علم الثقافة الإسلامية الذي يهتم بجوانب عديدة وترتكز عليها كالقيم والنظم والفكر ، وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الخصائص والمنهج وعلم الثقافة الإسلامية.

المبحث الثاني : خصائص الثقافة الإسلامية.

المبحث الثالث : خصائص منهج علم الثقافة الإسلامية.

نسأل الله العلي القدير التوفيق والسداد ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) سورة القلم، آية ٤.

(٢) انظر: مقدمات في الثقافة الإسلامية، مفرح القوسي ، ص ٤٨ – ٥٦.

المبحث الأول

تعريف الخصائص والمنهج وعلم الثقافة الإسلامية

تعريف الخصائص :

قال صاحب لسان العرب : (خصه بالشيء يخُصُّه خصاً وخَصُوصِيَّة خُصوصِيَّة ، والفتح أفصح واختصه : أي أفرده دون غيره). [١]

وفي معجم الوسيط : (خصوصية الشيء خاصيته ، والخَصِيْصة الصفة التي تميِّز الشيء وتحدده، والجمع خصائص). [٢]

تعريف المنهج :

هو الطريق أو مجموعة الأصول والقواعد التي يُجْتَمَعُ عليها لضبط الآراء والمسيرة ووضع الأحكام واتخاذ المواقف. [٣]

تعريف علم الثقافة الإسلامية :

العلم بمنهاج الإسلام الشمولي في القيم، والنظم، والفكر، ونقد التراث الإنساني فيها.[٤]

المبحث الثاني

خصائص الثقافة الإسلامية

للثقافة الإسلامية خصائص عديدة تمتاز بها عمَّا سواها من الثقافات الأخرى، ومن تلك الخصائص مايلي:

١. ربانية المصدر :

الربانية –كما يقول علماء العربية – مصدر صناعي منسوب إلى (الرب) زيدت فيه

---

(١) انظر: لسان العرب ، ابن منظور ، ٨٤١/٢.

(٢) انظر: المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١/ ٢٣٧.

(٣) انظر: الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادةً وقسماً عملياً، تأليف مجموعة من المختصين في قسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص١٣.

(٤) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، مانع الجهني ، قسم معجم المصطلحات ، ٢/ ١١٥٤.

الأف والنون على غير قياس ، ومعناها : الانتساب إلى الله سبحانه وتعالى.[1]

والمقصود بربانية المصدر: أن مصدر الثقافة الإسلامية مصدر رباني لابشري ، لأنها تستمد أساسًا من الوحي الإلهي كتاباً وسنة ، ومنهجها ذو الطابع الشمولي مأخوذ من منهجهما، ولذا فتصور الثقافة الإسلامية للوجود بكل خصائصه ومقوماته مستمد من الله من خلال ما جاء في كتابه الكريم ، فهو سبحانه خالق الكون والإنسان، وكل مافي الكون يسير على سنته التي وضعها فيه، ومسخر لصالح الإنسان. والإنسان مستخلف من الله في أرض الله.

والثقافة الإسلامية ثقافة ربانية تقف في مواجهة كل الثقافات المادية ، وتبنى على أساس قوي من الإيمان بالله وتقواه ، وتهتم بغايات الأشياء وأصولها البعيدة ، فتنظر إلى الحياة لا على أنها الغاية الأسمى والمثل الأعلى بالنسبة للإنسان –كما ينظر إليها الماديون – بل على أنها قنطرة إلى الآخرة ومرحلة مؤقتة ينبغي على الإنسان استثمارها بكل مايقربه إلى الله عز وجل للنجاة من سخطه وعذابه والفوز بجنته ورضوانه.

وهذه الخاصية تعطي الثقافة الإسلامية قيمة التفرد والخلود، وذلك أن الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه، ولذا سيبقى محفوظاً بحفظ الله له إلى قيام الساعة، بينما الكتب السماوية وكَّلَ الله حفظها إلى أهلها فلم يراعوها حق رعايتها، ولذا طرأ عليها التحريف والتبديل وأضيف إليها الكثير من الشروح والتفسيرات والتعليقات.

وكما أن هذه الخاصية تضفي على الثقافة الإسلامية صفة السلامة من التناقض والاضطراب، وذلك لأن النصوص الشرعية الصحيحة التي تستمد منها هذه الثقافة لا يجوز أن تتعارض فيما بينها ولا أن ينقض بعضها بعضاً، بينما الثقافات الأخرى التي تصدر عن عقل بشري محض فيها الكثير من الاختلاف والتناقض، لأن البشر من طبيعتهم الاختلاف والتناقض، من عصر إلى عصر ومن قطر إلى قطر، بل وفي العصر الواحد والقطر الواحد، وفي الشعب الواحد وفي الفئة الواحدة، بل وأحياناً في الفرد الواحد من حالة إلى أخرى ومن وقت إلى آخر.

٢. التوازن :

---

(١) انظر: لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (رب).

تتميز الثقافة الإسلامية بأنها ثقافة متوازنة، وذلك لقيامها على أسس عقدية متوازنة، وعلى مناهج فكرية متوازنة لا إفراط ولا تفريط ولا مغالاة ولا تقصير.

ففي مجال العقيدة يقوم تصور الثقافة الإسلامية على أساسين متوازنين أولهما الإيمان بالغيب، والثاني الإيمان بالشهادة، وهذا الإيمان بشقيه يتلائم مع فطرة الإنسان التي تريد أن تركن إلى قوة عظيمة غيبية غير مرئية تستمد منها العون وتجد في صلتها بها الأمن والطمأنينة.

ويسعى هذا التصور إلى التوسط بين الخرافيين الذين يسرفون في الاعتقاد فيصدقون بكل شيء ويؤمنون بغير برهان، وبين الماديين الذين ينكرون كل ما وراء الحس ولا يستمعون لصوت الفطرة ولا لنداء العقل ولا يخضعون لدلالة المعجزة.

ويقف هذا التصور في نظرته للإنسان موقفاً وسطاً متوازناً بين من اعتبروا الإنسان روحاً علوياً سجن في جسد أرضي، وأنه لا تسمو هذه الروح إلا بتعذيب الجسد وحرمانه من احتياجاته المشروعة كالبرهمية وبعض طوائف الصوفية، وبين من اعتبروا الإنسان جسداً محضاً وكياناً مادياً صرفاً كالمذاهب المادية الغربية.

وفي مجال المعرفة تقف الثقافة الإسلامية موفقاً وسطاً متوازناً بين الذين يمجدون العقل ويعدونه المصدر الوحيد لمعرفة حقائق الوجود، وبين الذين يهملون وظيفته في تلك المعرفة وينكرونها.

وفي مجال النظام الاجتماعي تلتقي – في ظل الثقافة الإسلامية – الفردية والجماعية في صورة وسطية رائعة تتوازن فيها حرية الفرد ومصلحة الجماعة، وتتكافأ فيها الحقوق والواجبات، وتتقاسم فيها المغانم والتبعات بالقسطاس المستقيم.

٣. الإيجابية :

ومن مزايا الثقافة الإسلامية الإيجابية الفاعلة في علاقة الإنسان بالكون والحياة في حدود المجال الإنساني ، وهذا ناتج من أن مبادئ الإسلام ليست مجرد مجموعة من القيود والضوابط الرادعة ، وإنما هي – في صميمها – قوة بناءة وحركة دافعة على النمو المطرد وانطلاق إلى الحركة والعمل.

إن العمل والإيجابية صورة أخلاقية في الثقافة الإسلامية تتواءم مع غاية الوجود الإنساني كما يصورها الإسلام، وهي الخلافة في الأرض واستخدام ماسخره الله للإنسان من إمكانات وقوى وطاقات في البناء والتعمير كي تتحقق العبودية الخالصة لله تعالى في أرضه.

والثقافة الإسلامية إيجابية لأنها تلزم المسلم بالعمل بحسب طاقاته وإمكاناته ومواهبه ، كي يؤثر في الكون تأثيرًا فاعلاً ، فيكون إيجابياً في عقيدته متفاعلاً معها ، مدركاً لمعانيها يحيا بكل عنصر من عناصرها، ويسارع ليتمثل كل ركن من أركانها فيجسده واقعاً يرقى به نحو الأفضل والأكمل، ويكون كذلك إيجابياً في دعوته فيهتم بأمر المسلمين وشؤونهم ويسعى جاهدا لتغيير كل واقع لايخضع لحكم الله ولا يدين بدين الحق ، كما يسعى إلى تغيير نفوس من رضوا بالحياة الدنيا عن الآخرة ، فانحصرت اهتماماتهم في أهواء عابرة ، ونسوا أنفسهم وضيعوا الفرائض وتهاونوا في أداء العبادات وتقاعسوا عن أداء الحقوق إلى أصحابها، قال تعالى: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾** [1] ، وقال : **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾**. [2]

٤. العالمية:

تمتاز الثقافة الإسلامية أيضاً بأنها إنسانية عالمية تنظر إلى الناس بمقياس واحد ، لاتفسده قومية أو عنصرية ولا يحيف عليه جنس أو لون ، ذلك أن الرابطة التي تربط بين الناس — في مفهوم الثقافة الإسلامية — هي رابطة العقيدة ، ومعيار التفاضل بينهم هو معيار التقوى والعمل الصالح ، فبه يرتفع قدر الفرد أو ينخفض ، كما يقرر ذلك الله عزوجل في قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**. [3]، وكما يقرره النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ((**يا أيها**

---

(١) سورة آل عمران، آية ١١٠.

(٢) سورة الحجرات، آية ١٥.

(٣) سورة الحجرات، آية ١٣.

الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بآبائها فالناس رجلان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب)). [1]

إن عصبية العشيرة والقوم والجنس واللون والأرض عصبية صغيرة مختلفة ؛ عصبية جاهلية عرفتها البشرية في فترات انحطاطها الفكري والروحي ، وهي لاتصلح أن تكون القيمة العليا والغاية القصوى التي يجتمع عليها الناس على مر العصور وتعاقب الأجيال. وإنما الذي يصلح لذلك هي العصبية للعقيدة الإسلامية الصحيحة التي تجمع شتات الناس وتوحد بينهم —مع تباعد أماكنهم واختلاف ألوانهم وتباين لغاتهم— وتجعل الإيمان بالله وطاعته وتقواه الهدف الأسمى والقيمة الخالدة.

٥. سلوكية أخلاقية:

وتمتاز هذا الثقافة كذلك بأنها سلوكية لاينفصل فيها القول عن العمل ، ولا العمل عن نية الإخلاص ، قال تعالى : **﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾**. [2]

كما تمتاز بأنها ثقافة أخلاقية تعتبر الصدق ، والأمانة والوفاء والحياء والحب والرحمة والتواضع وغير ذلك من الفضائل نبراساً هادياً لها في كل عبادة ومعاملة ، وفي كل توجيه وتنظيم ، وفي مختلف الظروف والأحوال.

وبهذا كله تميزت الثقافة الإسلامية عن الثقافات الغربية المادية التي أفتتنت بالعقل والعلم وحدهما وأهملت الجانب الخلقي لدى الإنسان ، واعتبرت ذلك الجانب وسيلة من وسائل المنفعة المادية وتحصيل الكسب. [3]

المبحث الثالث

خصائص منهج علم الثقافة الإسلامية

لاشك أن لكل علمٍ منهجه المميز له عن غيره في تناول موضوعاته ، بالإضافة إلى القدر

---

(١) رواه الترمذي في السنن برقم (٣٢٧٠) ، ورواه أبي داود في السنن برقم (٥١١٦) ، وحسنه الألباني.

(٢) سورة الصف، آية ٣.

(٣) انظر: مقدمات في الثقافة الإسلامية، مفرح القوسي ، ص ٤٨ – ٥٦.

المشترك بين العلوم من الناحية المنهجية ، وعلم الثقافة الإسلامية له مايميزه من الناحية المنهجية يتجلى ذلك في مجموعةٍ من القواعد، هي :

١. الشمول :

فالشمول هو القاعدة الأساس لمنهج علم الثقافة الإسلامية ، وهي الحاكمة للقواعد الأخرى في حدود النظر والتناول ، والمراد بالشمول التناول الكلي للموضوع باعتباره وحدة مترابطة ، ينظر إليها باعتبار كليتها أو تركيبها ؛ لتقديم صورة شاملة عن الموضوع المراد دراسته ، سواء أكان الموضوع قيمة أم نظاماً أم فكراً ، فالإسلام مثلاً يتناول بوصفه منهاج حياة مترابط من جميع الجوانب العقدية والتعبدية والخلقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية إلى غير ذلك. وكذلك دراسة المذهبيات مثلاً تدرس من حيث نظرتها العامة للإنسان والكون والحياة ، وما انبثق عن تلك النظرة من قيم ونظم وأفكار.

٢. التأصيل :

ويراد به الانطلاق من التصوير الإسلامي للإنسان والكون والحياة في الفهم والتنظير الفكري والعلمي والنقد ، واتباع المنهج الشرعي في الاستنباط والاستدلال ، والإفادة من التراث الإسلامي.

٣. النقد :

قاعدة مهمة من قواعد هذا العلم باعتباره العلم الذي يسعى لبيان منهج الإسلام والدفاع عنه ، ولاسيما في هذا العصر الذي تتنافس فيه المذهبيات ، وتتصارع الأفكار ، فبواسطة النقد بجدية الإيجابي والسلبي يمكن بيان الجوانب الجيدة والمتوافقة مع الإسلام في الفكر الإنساني، وكذلك بيان جوانب النقص والقصور والانحراف التي تكشف عن حاجته إلى هداية الوحي.

٤. المقارنة :

وهي القاعدة المكملة للقاعدة السابقة، فإذا كان النقد يبين الجوانب الإيجابية والسلبية فالمقارنة تكشف عن كمال الإسلام وفضله، وضرورته لحياة البشر.

فهذه القواعد الأربع بمجموعتها تمثل الأساسات المنهجية لعلم الثقافة الإسلامية، وبخاصة قاعدة الشمول المميزة لتخصص الثقافة الإسلامية بين التخصصات في محيط الدراسات العلمية

الأخرى. وفي ضوء هذه القواعد تتم الاستفادة من المناهج العلمية المشتركة، كالمنهج الاستنباطي والاستقرائي والتحليلي والتاريخي ونحوها. [1]

❁ ❁ ❁

انتهى البحث

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

٢٦ / ٥ / ١٤٣٥ هـ

(١) انظر: الثقافة الإسلامية تخصصاً ومادةً وقسماً عملياً ، تأليف مجموعة من المختصين في الثقافة الإسلامية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ص ٢٢.